المبحث الرابع

انســـــان نيـــاندرتـــال

يمثل انسان نياندرتال المرحلة الثالثة في التطور البشري . وجدت اولى متحجراته في جبل طارق(٥٩) باسبانيا في سنة ١٨٤٨ وكانت تلك المتحجرات هي عظام جمجمة امرأة ولم تنشر المعلومات المفصلة عن تلك الجمجمة الا بعد ان عثر في سنة ١٨٥٦ على جمجمة أخرى وعلى هيكل عظمي كامل لانسان في احد كهوف وادي نياندر بالقرب من مدينة دوزلدورف بشمال المانيا ولذلك سمي انسان نياندرتال . وكلمة تال باللغة الالمانيـــــة تعني وادى . وفي سنة ١٩٠٠ وصف هيكل عظمي كامل لانسان نياندرتال وجد في ملجـــأ صخرى قرب قرب قرية فرنسية اســـــمها La Chapelle-aux-Saint وجاء في ذلك الوصف ان انسان نياندرتال قصير القامة ويزيد طوله قليلا على خمسة اقدام وضخم البنية وجمجمته طويلة ومنخفضة وغليظة العظام وحجم دماغه ١٦٠٠ سم٣ وهذا الحجم يزيد على معدل حجم دماغ الانسان الحديث . وحجاج عينيه بارزة وضخمة ومحاجرها واسعة ومدورة ووجهه طويل ومندفع الى الامام وجبهته متقهقرة وفكه الاسفل قوي ومتراجع ولا أثر لوجود الحنك لديه.وفي سنة ١٩٠٨ وجدت بالقرب من موستير(٦٠) بمقاطعة الدوردون بفرنسا جمجمة وهيكل عظمي كامل لانســـــان مصحوبة بآلات من حجر الصوان من نوع الشظايا ولهذا السبب اقترنت الحضارة الموستيرية بهذا النوع من الانسان وتوالى بعد ذلك اكتشاف متحجـــرات ومخلفات انسان نياندرتال في جهات عديدة من العالم . ففي سنة ١٩٣٣ اكتشفت جمجمة بشرية في ستينهايم(٦١) بالمانيا وتميزت مقدمة الجمجمة بصفات نياندرتالية وخصوصا في حجاج العينين الغليظة البارزة وكان حجم دماغها يتراوح ما بين ١٢٠٠ – ١٣٠٠سم٣ . ثم عثر في فيمار باهرنكزدورف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالمانيا على جمجمة ومعها آلات حجرية موستيرية ليفولوازية وكان سطحها مرتفعا ومؤخرتها مستديرة ولكن حجاج العينين كبيرة وبارزة والسذقن متقهقر . اما حجم الدماغ فقد بلغ ١٤٣٠سم٣ . وبالاضافة الى ذلك وجدت عظام متحجرة لانسان نياندرتال في اقطار اوربية أخرى مثل بلجيكا وأسبانيا واليونان وايطاليا وانكلترا والاتحاد السوفييتي .

وفي افريقية عثر في سنة ١٩٢١ على جمجمة في بروكن هل(٦٢) بجنوب افريقية مع آلات موستيرية ليفولوازية وعظام لحيوانات منقرضة ولاخرى لا تزال تعيش في الوقت الحاضر في نفس المكان . وهذه الجمجمة وجدت كاملة مع اجزاء من جماجم أخرى وعظام للاطراف ومن دراسة هذه المتحجرات تبين ان شكل جمجمة بروكن هل لا يختلف كثيرا عن جماجم انسان نياندرتال والفارق الرئيسي هو في موقع الجمجمة بالنسبة للهيكل العظمي اذ انها اكثر اتزانا على قاعدتها الوسطي من جماجم انسان نياندرتال الاخرى وحجم الدماغ فيها ١٣٠٠سم٣ . اما عظام الاطراف فهي ليست منحنية بل مستقيمة مثل عظام الانسان العاقل . وبالرغم من الاختلاف في صفات هذه العظام المتحجرة فانها لا تزال داخل نطاق الصفات النياندرتالية . ووجد في السنوات الاخيرة في كهف هوا فطيح القريب جدا من ساحل البحر المتوسط في ليبيا فك متحجر يعود لنوع من انسان نياندرتال يشبه انسان نياندريال في فلسطين ووجدت مع الفك آلات ليفولوازية موستيرية يعود تاريخها للفترة ما بين ٦٠٠٠٠ـ٤٠٠٠٠٠ قبل الميلاد(٦٣) . ووجدت صناعات حجرية موستيرية في عدة مواقع جزائرية اشهرها موقع قريب من مدينة وهران(٦٤) .

وفي السواحل الشرقية للبحر المتوسط عثر بفلسطين في مغارة الطابون ومغارة الصخول بجبل الكرمل وفي مغارة الزطية بمنطقة الجليل وفي جبل قفزة وفي شقبة بوادي النطوف وفي كهف العامود بمنطقة بحيرة طبرية على هياكل عظيمة لانسان نياندرتال مع بعض الاختلافات في التفاصيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من موقع لآخر . وفي جنوب شرقي آسيا استطاعت سلالة أخرى من نوع انسان نياندرتال ان تبقى وتعمر فترة طويلة من الزمن ففي عام ١٩٢١ عثر على احدى عشرة جمجمة في نكاندونك Nagandong بجزيرة جاوة واطلق على أصحابها اسم انسان صولو نسبة الى نهر صولو حيث عثر عليها بالقرب منه وتتصف هذه الجماجم بارتكازها على فقرات الرقبة في وضع مشابه لارتكازها لدى الانسان العاقل . ويبدو ان انسان صولو قد تطورمن انسان جاوة في نفس وطنه الاصلي .

لقد وجدت متحجرات انسان نياندرتال في جهات عديدة من العالم القديم ولم يعثر على جماجم أو اجزاء جماجم فقط بل عثر أيضا على هياكل عظيمة كاملة لرجال ونساء واطفال ينتمون الى نوع بشري واحد والاختلاف الموجود بينها ليس الا من قبيل الاختلاف بين السلالة والاخرى داخل النوع الواحد . وتتلخص الفروق بين انسان نياندرتال والانسان العاقل في كبر حجم جمجمة انسان نياندرتال وغلظ عظامها واتصال الحجاج العينية بشكل رف يمتد فوق فجوة العينين المدوزتين الواسعتين وتراجع الجبهة وانخفاض سطح الرأس وعدم استدارة مؤخرة الجمجمة وانحناء الرأس الى الامام لان فقرات الرقبة متصلة بقاعدة الجمجمة اتصالا منحرفا عن مركزها بحيث لا يكون الرأس ثابتا في وضع عمودي اما الذقن فيبدو متقهقرا والفك العلوي كبير وضخم وبارز وسقفه عريض مما يدل على اتساع الفم والاسنان كبيرة الحجم ولكنها مرتبة بشكل حدوة الفرس وعظام الاطراف ذات مظهر ضخم والفخذ مقوس والساق قصيرة اذا قورنت بالفخذ والسلسلة الفقرية مقوسة قليلا وفيها بعض الشبه بالسلسلة الفقرية لدى القردة العليا . اما القامة فهي اقصر من قامة الانسان العاقل ويتراوح طولها بين ١٥٨-١٦٣سم ويتراوح حجم الدماغ في السلالات المبكرة بين ١٤٥٠سم٣ للذكور و ١١٣٠سم٣ للاناث وفي السلالات المتطورة بين ١٦٤٠سم٣ للذكور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و ١٣٢٥سم٣ للاناث غير ان دماغ انسان نياندرتال كان اقل نموا وتعقدا من دماغ الانسان العاقل ٠

وبصورة عامة يمكن تقسيم سلالات انسان نياندرتال الى مجموعتين ① مجموعة مبكرة ومجموعة متطورة(٦٦) ٠ وعاشت المجموعة المبكرة قبل زحف جليد فرم الاول أي في الفترة غير الجليدية بين جليد رس وجليد فرم فكانت معها آلات اشولية ٠ وأفراد سلالات هذه المجموعة اقل تخصصا في صفاتها ووجدت متحجرات عظامهم في وسط وشرق أوربا مثل جمجمة اهرنكزدورف وستينهايم بألمانيا ومتحجرات كرابينا في يوغسلافية ومتحجرات ايطاليا والاتحاد السوفييتي ٠ اما سلالات المجموعة الثانية وهي المجموعة المتطورة(٦٧) فتعود الى فترة جليد فرم الاول أو الفترة اللاحقة لها ٠ وقد وجدت متحجراتها في اقطار مختلفة مثل ألمانيا وبلجيكا وفرنسا واسبانيا واليونان والعراق وايران ولبنان وفلسطين وليبيا ٠ وتدل صفاتهم على التخصص فمعدل حجم دماغ الذكور كان يتراوح ما بين ١٥٢٥ـ١٦٤٠سم٣ اما الاناث فكان معدل حجم الدماغ عندها اقل من حجم دماغ الذكور بمقدار ٢٠٠سم٣ وقاعدة الجمجمة عريضة وسطحها منخفض ومؤخرتها مستديرة والجبهة منحدرة ومحاجر العيون واسعة وفجوة الانف واسعة أيضا ٠

يعتقد بعض الانثروبولوجيين ان الاجناس البشرية الحديثة لم تنحدر من نوع انسان نياندرتال وربما كان نوع نياندرتال قد تطور الى نوع احدث تطورت منه الاجناس البشرية الحديثة فيما بعد أو انحرف عن طريق التطور أو انقرض في آواخر عصر البلايستوسين دون ان يترك اثرا وراثيا بين الناس الذين يعيشون في الوقت الحاضر ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner